كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م.د. نهاد فخري محمود

اسم المادة باللغة العربية : النقد القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Old Criticism

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: موقف الصحابة (رضي الله عنهم) من النقد في صدر الاسلام.

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : The Attitude of Companions (may God be pleased with them) on criticism in early-Islamic era

مقرر الفصل الأول

موقف الصحابة (رضي الله عنهم) من النقد في صدر الاسلام

أولاً: موقف الخليفة أبى بكر الصديق (ﷺ)

إنَّ خلافة أبي بكر الصديق (ﷺ) لم تشهد وقفات نقدية كثيرة؛ وذلك بسبب حروب الردة، وعدم الاستقرار، إلا أنَّ هناك نظرات لم تخرج عن مألوف النقد في عصر ما قبل الاسلام، وهذا ما نلمسه في مفاضلته بين الشعراء، إذ فضَّل النابغة على غيره من الشعراء وحكم له بأنَّه (أحسنهم شعرًا وأعذبهم بحرًا وأبعدهم غورًا) إذ إنَّ النابغة في نظره (يستقي معانيه من معين عذب سائغ، فتقبلها النفوس تقبلًا حسنًا، كما أنَّه في معانيه بعيد العمق والغور، وأنَّه يظل يروي فيما يغمض منه حتى يستخرجها استخراجًا واضحًا) ويروى أنَّه سمع قول زهير :

والسترُ دونَ الفاحشاتِ وما يلقاكَ دونَ الخيرِ من ستر

قال:(هكذا كان رسول الله "ﷺ" ثم قال: أشعر شعرائكم زهير).

ثانيا : موقف الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ)

أدرك الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) أنَّ الشعر علمُ العرب الصحيح. إذا توافر له قدر من الصحة أكثر من غيره، فقد قال: (كان الشعرُ علمَ قوم لم يكن لهم علمٌ أصح منه). ووصف الشعر بأنَّه علمٌ، ويبدو أنَّ الخليفة كان يشير الى معنى للشعر قريب من كونه ذاكرة الأمة ووعاءَ معرفتها. وجملة القول إنَّ الخليفة عمر (ﷺ) يُقرُّ بكون الشعر مصدرًا رئيسًا من مصادر المعرفة عند العرب، ومن هنا يأتي قوله: (تحفَّظّوا الأشعارَ وطالعوا الأخبارَ، فإنَّ الشعر يدعو الى مكارم الأخلاق، ويعلِّم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال ويفتق الفطنة ويشحذ القريحة ... وينهى على الأخلاق الدنيئة).

لذا فان الخليفة الراشدي التزم بهذا الموقف، وطبق ما في الشعر في سلوكه، ففي الأخبار أنَّه ما أبرم عمر ابن الخطاب أمرًا قط إلا وتمثَّل فيه ببيت شعر؛ لان الشعر في تصوره سبيل الى تكوين الانسان الفاضل.

أما موقفه من الشعر فيروى أنَّ العباس بن عبد المطلب سأله عن الشعراء فقال: (امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معانٍ عُور أصحَّ بصر، وأشعر الشعراء عنده زهير بن أبي سلمى؛ لأنَّه (لايعاظلُ بين الكلام، ولا يتَّبع حوشيَّه، ولا يمدحُ الرجلَ إلا بما فيه) تعد هذه الملاحظات خطوة متطورة في مسار النقد الأدبي، فهي تنبئ عن إنعام نظر في شعر زهير شكلًا ومضمونًا ، فزهير أشعر الشعراء؛ لأنَّه لا يداخل بين مكونات العبارة، بل تمضي تراكيبه على نسق واضح العلاقات، لا تعقيد في كلماته ولا تداخل، مما يسهل إدراك معانيه دون إعنات، ثم إنَّك لا تجد في أسلوب زهير قصدًا الى غريب الألفاظ ، وأما قوله : (لا يمدح الرجل الا بما فيه) فقد فهم منه ابن رشيق القيرواني أنَّ زهيرًا صادقٌ في مديحه.

وأشعر غطفان عند الخليفة عمر (ﷺ) النابغة الذبياني، لما يؤثر عنه حسن تأتيه المعاني والبراعة في التصوير في إطار من التخييل المحبب إلى النفس يذكر صاحب الجمهرة أنَّه خرج عمر وببابه وفد من غطفان، فقال: أيُّ شعرائكم الذي يقول :

حَلفتُ فَلَم أترك لنفسكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذهبُ

ولستُ بمُستبقٍ أخاً لاتلُمُّـهُ ... على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذبُ

قالوا: النابغة، قال: فمن الذي يقول:

خطاطيفُ حُجنٌ في جبالٍ متينةٍ ... تمدُّ بها أيدٍ إليـــــــكَ نــوازعُ

فإنّكَ كاللّيلِ الذي هو مُدْرِكي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنتأى عنك واسِعُ

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين، قال: فمن القائل :

إلى ابنِ مُحَرِّقٍ أعمَلتُ نَفسي وراحلَتي، وقد هَدَتِ العُيونُ

فألفَيتُ الأمانَةَ لـم يَخُنْها كذلكَ كانَ نُوحٌ لا يَخُونُ

وهكذا استمر بالسؤال، فكانت الإجابة النابغة، فقال: هو أشعر شعرائكم"

ولعمر بن الخطاب (ﷺ) بصرٌ وخبرةٌ بمقاصد الشعراء في الأغراض التي يقصدونها، ولكنه وهو الإمام العادل لا يطمئن في هذا الأمر الا لذوي الخبرة الواسعة من النقدة وكبار الشعراء، فيروى أنَّ الحطيئة هجا الزبرقان بن بدر، فأتى الخليفة شاكيًا، فقال له: ما قال لك ؟ قال: قال لي:

دع المكارمَ لا ترحل لبغيتها واقعد فإنَّك أنت الطاعمُ الكاسي

فقال عمر (ﷺ) ما أسمع هجاء، ولكنها معاتبة، فقال الزبرقان: أوَ ما تبلغ مروءتي إلا أن آكلَ وألبسَ ! فقال عمر: عليَّ بحسان، فجيء به فسأله، فقال: لم يهجه ولكن سَلحَ عليه، فأمر بسجنه .. فأنشد قائلًا:

ماذا تقول لأفـراخٍ بذي مَرَخٍ زُغب الحواصِل لا ماءُ ولا شجرُ

فأخرجه، وقال له إياك وهجاء الناس، قال: اذًا يموت عيالي جوعًا هذا مكسبي ومنه معاشي. قال: فإياك والمقذع من القول. قال: وما المقذع ؟ قال: أن تخاير بين الناس، فتقول: فلان خير من فلان، وآلُ فلان خير من آلِ فلان.

وكذلك موقف الخليفة (ﷺ) من هجاء النجاشي لبني العجلان الأمر الذي دفعهم إلى تقديم شكواهم إلى الخليفة، فانشدوه قول النجاشي فيهم.

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنَ مُقْبِلِ

حاول الخليفة أن يخفف من حدَّة الهجاء في هذا البيت، فجعله مجرد دعاء .. فسكت القوم عن هذا البيت، فقالوا: ولكنه قال :

قبيلةٌ لا يغدرون بذمـةٍ ولا يظلمون الناسَ حبةَ خردلِ

فقال الخليفة: (ليت آل الخطاب هكذا) محوِّلًا صفتي الضعف والذِّلة التي أراد الشاعر وصف القبيلة بهما من منطلق قبلي الى صفة يعتد بها المسلم .. فقال القومُ: وقد قال:

ولا يردونَ الماءَ إلا عشيةً إذا صدرَ الورّادُ عن كلِّ منهلِ

حاول الخليفة أن يوجه البيت وجهة إسلامية حتى قال: (ذلك أقل للسكاك) أي الزحام ... فقالوا: فقد قال:

تَعَافُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ وَتَأْكُل مِنْ كَعْبٍ وَعوفٍ وَنَهْشَلِ

فقال الخليفة عمر (ﷺ) (أجنَّ القومُ موتاهم فلم يضيعوهم).

وهكذا يستمر الحوار بين بني العجلان والخليفة. الأمر الذي دفعه الى استدعاء حسان بن ثابت، فأقرَّ بكونه هجاءً، فهدد الخليفةُ النجاشي ومنعه من قول الهجاء بقوله: (إن عدت قطعت لسانك).

بنى عمر بن الخطاب (ﷺ) أحكامه النقدية على أساس الصدق، من ذلك ما رواه صاحب الأغاني من أنَّ عمر بن الخطاب (ﷺ) انشد قول الحطيئة:

متى تأتهِ تعشو إلى ضوء ناره تجد خيرَ نارِ عندها خيرُ مَوقدِ

فقال الخليفة : (كذب بل تلك نار موسى نبي الله)

وكان الخليفة معجبًا بالشعر الذي يصوِّر الحقائق الإيمانية، فكان يتمثَّل بقول ورقة بن نوفل:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإلهُ و يفنى المالُ و الولدُ

وكان معجبًا بقول زهير:

فَإِنَّ الحَقَّ مَقطَعُهُ ثَلاثٌ، يَمينٌ أَو نِفارٌ أَو جِلاءُ

وسمي زهير (قاضي الشعراء بهذا البيت).

وكان معجبًا بقول عبدة بن الطيِّب:

وَالمَرءُ سَاعٍ لِأَمرٍ لَيسَ يُدرِكُهُ وَالعَيشُ شُحٌّ وَإِنفَاقٌ وَتَأمِيلُ.

فقال: (على هذا ببيت الدنيا).

ثالثًا : موقف الامام علي (كرم الله وجهه)

أما موقف الإمام على (ﷺ) من الشعر والشعراء، فله وجه آخر ينبع في الأساس من أنَّ طفولته وشبابَه كانا مباشرة تحت تأثير الإسلام وكتابه الكريم، فهو لم ير مثلاً أنَّ قول الشاعر في الخمر يوجب الحدَّ مثل شربها. محاولة منه تنبيه المسلمين الى أنَّ الإسلام لم يستبعد العقل البشري؛ لأنَّ الشاعر أبا محجن الثقفي عندما قال:

وإنّي لذو صبرٍ وقد مات إخوتي ولستُ عن الصهباء يومًا بصابرِ

فأرادوا جلده، منعهم الخليفة (ﷺ)؛ لأنَّ الشاعر قالها وهو تحت تأثير الضرب، مذكِرًا إياهم بقوله تعالى: (وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون) وأشهر النصوص النقدية التي تحدَّث بها الامام علي (ﷺ) عندما كان حكمًا بين متخاصمين من الجنود في إحدى مسامراتهم في معركة "صفين"، قائلًا: (كلُّ شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق الى ذلك وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه، وإن يكن أحدٌ فضلهم فالذي لم يقل رغبةً ولا رهبةً امرؤ القيس بن حجر، فإنَّه أصحُهم بادرةً وأجودهم نادرة).

للنص أهمية في تاريخ النقد العربي، وهو في مراحل تطوره الأولى وذلك للآتي:

١. حاول الإمام (ﷺ) في الفقرة الاولى أن يدخل الشعر العربي كافة الوثني منه والاسلامي بما في ذلك شعراء المعارضة ضمن دائرة الابداع والمفاضلة .

٢ . في قوله (كل شعرائكم محسن) كسر لطوق العصبية القبلية والفكرية، فضلًا عن أنَّه جعل شعر المرأة كشعر الرجل .

٣ . في الفقرة الثانية، لم يجوّز المقايسة الاعتباطية بين عصر وعصر أو بين شاعر وشاعر من عصرين مختلفين ولم يجوّز المقارنة بين شاعرين انصرف كل منهما الى غرض خاص به أو موضوع مغاير في عصر واحد. إذ لا يمكن المقايسة بين غرضين مختلفين او بين شاعرين في عصرين متباينين .

٤ . أما الفقرة الثالثة، أراد القول بالتخصيص فلكل شاعر حقله المفضل وغرضه المفضل به على أقرانه، ولكل شاعر قصيدة فذة أو بيت سائر، أراد بذلك ترضية المتخاصمين خوفا عليهم أن يترك هذا الجدال الأدبي بعض النعرة التي تؤدي الى تفتيت وحدة القبائل.

٥ . أما الفقرة الرابعة فقد سمى الإمام (ﷺ) شاعره المفضل وأعطى مسوغات التفضيل، وهي الحرية التي يتمكن الشاعر عن طريقها القول من دون خوف أو عبودية (الطمع) فالشاعر لا يمكن أن يكون شاعرًا وهو يخشى القول ويخشى أن يفكر كما يمليه عليه العقل وتمليه عليه العاطفة، وأنَّ الذي يقول ذلك وهو يشعر بالخوف فهو نصف عبد لا يمكن أن ينطق الا كما ينطق أنصاف العبيد.

تطبيقات الفصل الثاني

س١ / للإسلام موقف واضح من الشعر والشعراء، صف هذا الموقف من خلال النصوص التي نص عليها القران الكريم .

س٢/ اتخذ الرسول محمد (ﷺ) المعيار الإيماني سبيلًا للحكم على الشعر، ناقش ذلك .

س٣/ أدرك الخليفة عمر بن الخطاب أنَّ الشعر علم العرب الصحيح، انطلق من هذا الفهم مبينًا آراء الخليفة النقدية تجاه الشعر والشعراء .

س٤/ صف الموقف النقدي للإمام علي (كرم الله وجهه).